الطبيعة في شعر إبراهيم الهونـــــــي

آمال اللافي عبد السلام اللافي* – قسم اللغة العربية - كلية: الآداب العجيلات – جامعة الزاوية
EMAIL: a.allafi@zu.edu.ly
تاريخ الاستلام 2025/3/3م تاريخ القبول 2/ 8 / 2025م

Nature in the poetry of Ibrahim Al-Huni

*Amal Al-Lafi Abdel Salam Al-Lafi

Research summary
his research deals with nature in the poetry of Ibrahim Al-Huni, as nature has remained the focus of poets' attention and an inexhaustible source of inspiration throughout the ages. Poets have sought throughout time to contemplate its features, exploring its secrets and various manifestations. Nature has played a prominent role in enriching Arabic poetry since the pre-Islamic era. Not a time passes without nature being present as an artistic element that colors verses of poetry, as it is closely linked to beauty and harmony, which makes it add a unique and attractive touch to poetic themes such as praise, elegy, and love. Among these poets who excelled in depicting nature, the poet Ibrahim al-Huni stands out, in whom nature was strongly present in his poetry, using it as a canvas through which he expressed .his feelings and ideas in various poetic themes

Keywords :
The city، the night، nature، Ibrahim Al-Huni

الملخّـــــــــص:

يتناول هذا البحث الطبيعة في شعر إبراهيم الهوني، حيث ظلت الطبيعة على مر العصور مركز اهتمام الشعراء ومصدرًا لا ينضب للإلهام، لقد سعى الشعراء عبر الزمن إلى التأمل في معالمها، مستكشفين أسرارها وتجلياتها المختلفة، فقد لعبت الطبيعة دورًا بارزًا في إثراء الشعر العربي منذ العصر الجاهلي، فلا يمر زمن إلا وتجد الطبيعة حاضرة كعنصر فني يلون أبيات الشعر، إذ ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالجمال والتناسق، مما جعلها تضفي على الأغراض الشعرية كالمدح والرثاء والغزل لمسة فريدة وجاذبة، ومن بين هؤلاء الشعراء الذين أبدعوا في تصوير الطبيعة، يبرز الشاعر إبراهيم الهوني، الذي كانت الطبيعة حاضرة بقوة في شعره، فاستعملها كلوحة يعبر من خلالها عن مشاعره وأفكاره في مختلف الأغراض الشعرية.

الكلمات المفتاحية: إبراهيم الهوني، الطبيعة، الليل، المدينة.

المقدمـــــــة:

لقد حظي شـــعر الطبيعة بمكانة بارزة في القصيدة العربية، وكان من بين الشعراء الذين لم تغب عن قصائدهم صور الطبيعة بألوانها وأشكالها المتنوعة الشاعر إبراهيم الهوني، فقد تناول الهوني الطبيعة بأبعاد متعددة، مستفيدًا منها لنقل أفكاره النفسية، والاجتماعية، والثقافية، والسياسية إلى المتلقي بأسلوب فني متميز؛ ففي بعض قصائده، يصور الطبيعة تصويرًا واقعيًا دقيقًا، وفي أخرى، يستخدمها كرمز يحمل معانٍ أعمق، ويتضح من خلال هذا البحث كيف استطاع إبراهيم الهوني أن يستلهم تجليات الطبيعة وعناصرها ليبدع صورًا شعرية نابضة تعكس تعلقه وحبه العميق للطبيعة، وهو ما ظهر جليًا في عدد من أغراضه الشعرية التي تميزت بصدق الأسلوب، وسلاسة التعبير، ووفرة المشاعر.

وتُعدُّ الطبيعة في شعر إبراهيم الهوني أحد المحاور الأساسية التي يتناولها بأسلوب شعري مميز، حيث تتجلى في نصوصه كمرآة تعكس روح المكان، والهوية، والتراث، ويعكس الهوني من خلال وصفه للطبيعة تفاصيل الحياة اليومية في بيئته، مبرزًا تداخل الإنسان مع عناصر الطبيعة من زرعٍ وماءٍ ورياحٍ، مما يخلق حالة من الانسجام بين الإنسان، وأرضه، وتتسم صور الطبيعة في شعره بالبساطة والواقعية، لكنها تحمل في طياتها أبعادًا عميقة تعبر عن الحنين والحياة والتحديات التي تواجه مجتمعه.

إشكالية البحث:

أما الإشكالية فتتمثل في التحدي الذي يواجه الباحث عند محاولة تفسير هذه الصور الطبيعية، بسبب تعدد أبعادها واختلاف دلالاتها بين النصوص، إضافة إلى تنوع الأساليب التي استخدمها الهوني، بين التصوير الواقعي والرمزية الشعرية، كما تبرز الإشكالية في محاولة الربط بين الطبيعة وما تحمله من رموز اجتماعية وسياسية، خصوصًا في ظل التحولات التي شهدها المجتمع الليبي الذي ينتمي إليه الشاعر.

أهداف البحث:

تهدف دراسة الطبيعة في شعر إبراهيم الهوني إلى الكشف عن كيفية توظيف الشاعر لعناصر الطبيعة، وصورها في بناء تجربته الشعرية، وذلك لفهم الأبعاد الجمالية، والمعنوية التي تضفيها على نصوصه، كما تسعى الدراسة إلى تحليل الدور الذي تلعبه الطبيعة في التعبير عن القضايا النفسية والاجتماعية، والثقافية والسياسية لدى الهوني،

وكيف تُستخدم كوسيلة رمزية تعكس رؤيته للعالم من حوله، بالإضافة إلى ذلك، تهدف الدراسة إلى إبراز تميز شعر الهوني في مزج التصوير الواقعي مع الرمزية، مما يمنح النصوص عمقًا وثراءً، ويُبرز تعلق الشاعر ببيئته وتراثه، وتسهم هذه الدراسة في إثراء المكتبة الأدبية العربية بإضافة فهم أعمق لتجربة شاعرية مميزة.

أهمية البحث:

تكتسب دراسة الطبيعة في شعر إبراهيم الهوني أهمية كبيرة لكون الطبيعة تشكل محورًا رئيسًا في بناء رؤيته الشعرية، وتعبر عن تفاعله العميق مع بيئته ومجتمعه؛ إذ تتيح هذه الدراسة فهم كيف يستخدم الشاعر صور الطبيعة ليس فقط كخلفية جمالية، بل كرموز تعكس قضاياه النفسية والاجتماعية، والثقافية، والسياسية، مما يجعل شعره غنيًا ومتعدد الأبعاد، كما تساعد هذه الدراسة في الكشف عن مدى تأثر الهوني بالتراث العربي، وبالمحطات التاريخية التي مر بها، وكيف أن الطبيعة في شعره ليست مجرد وصف بل تجربة إنسانية متكاملة.

منهج البحث:

والمنهج المتبع في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي التحليلي، الذي يسعى إلى دراسة صور الطبيعة وتجلياتها من منظور إبراهيم الهوني.

المطلب الأول - إبراهيم الهوني حياته، ومفهوم الطبيعة:

1 ـ نبذة عن الشاعر إبراهيم محمد الهوني:

يُعد الشاعر إبراهيم محمد عبد القادر الهوني من أبرز شعراء القرن العشرين، وُلد عام 1907م في مدينة بنغازي، وبدأ مسيرته التعليمية في المدارس العربية الإيطالية، حيث تعلم اللغة الإيطالية، وهو ما ترك أثرًا واضحًا في شعره، إذ اشتهرت قصيدته "لا تسألوني" بقافية مكتوبة باللغة الإيطالية، وكان الهوني يرى أن على الشاعر أن ينهل من الآداب الغربية لتطوير ملكاته الشعرية.

وقد اهتم الهوني بصقل موهبته الشعرية منذ صغره، حين لاحظ أصدقاؤه حسه الشعري المميز، فشجعوه على التعمق في اللغة العربية لتعزيز مهاراته الأدبية، ودرس في الكتاتيب والمعاهد الدينية، وحصل عام 1938م على شهادة التعليم، مما مكنه من العمل في مجال التدريس، حيث عُين أولاً مدرسًا في مدينة المرج، ثم تقلد عدة مناصب تعليمية وإدارية، قبل أن يلتحق بالسلك القضائي، وتولى عدة مناصب قضائية، ما أتاح له فرصة الاطلاع على قضايا مجتمعة، ومتابعة تحولات حياته السياسية والاجتماعية.

وعلى الصعيد الشعري، كانت مسيرته حافلة بالإبداع والنتاج الأدبي، حيث أصدر ديوانه الأول عام 1966، فيما جمع ديوانه الثاني بعد وفاته، بتوثيق من الدكتور (قريرة زرقون)، لم يكن الهوني شاعرًا عاديًا، بل كان صوتًا ينبض بالمقاومة والهوية الوطنية، حمل في شعره هموم وطنه، وأحلام شعبه، وظل حتى وفاته عام 1969م في بنغازي، مثالاً للشاعر الذي جمع بين الأصالة والمعاصرة، وبين الحرف العربي والتجربة الإنسانية الواسعة. [1]

2 ـ مفهوم الطبيعة:

تُعدّ الطبيعة من أبرز الفنون التي انطوت على أسرار كونية عميقة، ومصدرًا ثريًا استقى منه الشعراء عذوبة لغتهم وجمال تعبيرهم، فصبغوا بها أشعارهم بألوان من الدهشة والتأمل، فالفنون عمومًا، كالشعر، والنحت، والتصوير، والموسيقى، وما في جوهرها إلا انعكاس للطبيعة وتعبير عن جمالها، وصدى لما توحي به من مشاعر وأفكار[2]، وأما مفهوم الطبيعة في كتب المعاجم اللغوية، فجاء في تاج العروس "الطبع والطبيعة والطباع، ككتاب": الخليقة و(السجية) التي جبل عليها (الإنسان) .. والطباع مؤنثة، كالطبيعة ، كما في المحكم ...وطبعه الله على الأمر يطبعه طبعا: فطره ، وطبع الله الخلق على الطبائع التي خلقها فأنشأها عليها -وهي خلائقهم – يطبعهم طبعا، وهي طبيعته التي طبع عليها [3] فالطبيعة غالباً ما تأتي مرادفة لطبع والسجية، وهي من الصفات الأساسية للفرد التي نسميها طباعا.

وأما في المعجم الوسيط فجاءت بمعنى:"السجية، والطبيعة مزاج الإنسان المركب من الأخلاط" بمعنى أن الطبيعة جزء من تكوينه الفطري الملازم لجوهره[4].

وجاءت في المعجم الفلسفي، الطبيعة هي: (مجموع ما في الأرض والسماء من كائنات خاضعة لنظم مختلفة، وهي بهذا المعنى مرادفه للكون، ومقابلة للإنسان) [5].

المطلب الثاني ـ الطبيعة الصامتة:

يقف الشاعر أمام الطبيعة ليرسم بشعره صورة حية لما تنطق به الطبيعة من جمال أودعها الله فيها من حدائق، وغابات وجبال وغيرها، ومن أبرز صور الطبيعة التي مثلها الشاعر كما يأتي:

أ- وصف مدينة: تظهر قيمة المدينة لدى الشاعر، وتعلقه بها من خلال شعره، فلكل مدينة وقعها الخاص في رؤية الشاعر التعبيرية حيث جاءت أفكاره تبعا لهذه الخاصية التي اندمجت مع الطبيعة للتعبير عن الواقع.

فالإحساس بالظلم هو من أجج مشاعر الشاعر؛ ليصف المرارة والعذاب التي يمر به

المجتمع، من خلال الطبيعة، ويصفها بأنها حزينة؛ فيوظف المناظر الطبيعة من الماء المالح، والشمس الحارة، والرياح التي تحمل الأمراض في وصفه لمدينة طبرق، يقول:

خذ صف طبرق يا من جئت تسألني عنـها ففي وصـفها هم وأحـزان
جزيرة وسط ماء البحر رابضة شمـس وحـر واكدار وطليـــان
المـاء ملـح فلا يروي لك عطشا مهما شربت فبعد الشرب عطشــان
والـريح تحـمل أمـراضا مشكلـــة لا يستطيـع هـروبا منـها إنـسـان(6)

ويتضح من خلال الأبيات السابقة مدى تأثر، وحزن الشاعر في فترة الاحتلال الإيطالي الجاثم على صدور الليبيين، وينعكس ذلك في شعره فيرسم الطبيعة بصورة حزينة؛ ليصف طبرق جزيرة وسط ماء البحر رابضة تلفحها حرارة الشمس، وكدر الطليان، فالماء مالح لا يروي من يشرب منه، وأن شربت منه لا تروى وتبقى عطشان، والريح تحمل معها أمراضا شتى ستصيب من يعترضها ولا يمكن لأي شخص أن يهرب منها، وفي الصدد نفسه يتحدث الشاعر عن صورة شعرية حزينة بسبب ما خلفه الزلزال من مآسي لأهل المرج و رثاء للأطلال، يقول:

أما سمـعت وما جـفت مدامعنا بما جرى لأهل المرج يا عيد
مـرت بيـوم كـيوم العيـد أولــه لـكـن آخـره مـوت وتـنـكـيد
تحـرك الريح والـزلـزال فانـدثر كأنما ثار تحت الأرض بارود
مـديـنة حطـمت يا طالـما لـعبت بين الخمائل فيها الخرد الغيد
وطـالمـا رد مـخـذولا مـهاجمها وقد تصدى له الصيد الصناديد
بالأمس كانت يسر العين منظرها صارت خرابا يبابا مثلها البيد(7)

الشاعر في هذا النص يعبر عن رمزية العيد كرمز للفرح والسرور، لكنه في الوقت نفسه يبرز الألم، والحزن الذي أصاب أهالي منطقة المرج بسبب الكارثة الطبيعية التي ضربتهم، والتي تمثلت في الرياح العاتية والزلازل المدمرة، ويستخدم الشاعر تشبيهًا قويًا لوصف قوة الزلزال، حين يقول: "كأنما ثار تحت الأرض بارود"، ليجسد شدة الهزة الأرضية وقوتها الفتاكة، ثم ينتقل بنا إلى رؤية حسية بصرية لمدينة المرج التي كانت في الماضي مزدهرة وجميلة، تتمتع بمباهج الحياة وماضٍ عريق، لكنها تعرضت الآن للدمار والخراب، ويظهر الشاعر التناقض بين صورتين للطبيعة

في المدينة: الأولى مدينة خضراء خصبة تنبض بالجمال والحياة، والثانية صورة مأساوية لطبيعة قاحلة، حيث أصبحت المرج خرابًا يبابًا يشبه الصحراء القاحلة، مما يبرز عمق الفاجعة وتحول الواقع من حياة مزدهرة إلى خراب لا حياة فيه.

ويقول في موقع آخر يؤكد على أهمية المدينة في نفسية الشاعر، وارتباطه بها، وعلى مشاعره وخاصة عند زيارته إلى مدينه هون:

أتيت مستغيثا مما اكابده ... فانجاب عليما أخشاه من هون
إذا عطشت فماء النخل يرويني ... ورمالها من عناء البرد يشفيني
فيها تجمع ما الأنسان يطلبه ... جمال موقعها في حسن تكوين
والأرض بيضاء مثل الثلج ناصعة ... والنخل من فوقها يزهو بعرجون
خلاصة القول إن الله جاعلها ... منارة الصبر والإخلاص والدين[8]

في مدينة هون، يسلط الشاعر الضوء على طبيعة المدينة وما تزخر به من مميزات تجعلها مقصدًا للزوار وملجأً للأهل والأصدقاء؛ فهو يصف الصحراء وما تحويه من خصائص نافعة يستفيد منها سكان المدينة، فيعدد فوائدها المختلفة؛ فمن نخيلها يستخلصون عصارة تُسمى اللاقبي، وهو مشروب حلو يروي ظمأ العطشانين، ومن رمالها البيضاء الناصعة يُستخرج دواء يساعد مرضى البرد على الشفاء، كما أن صفاء سمائها الزرقاء يمنحنا متعة بصرية، ويجذبنا بجماله الخلاب، وباختصار، يقدم الشاعر مدينة هون كرمز للعطاء سواء على الصعيد المادي أو المعنوي، مدينة تجمع بين الجمال الطبيعي والفوائد القيمة التي تُسهم في حياة أهلها وزوارها.

ثم يتحدث عن جماليات المكان في جرديس العبيد التي يصفها بأنها روضة غناء، تأسرك بجمالها الذي يبهر العيون بما اشتملت عليه من نعيم، يقول:\

أيا جرديس الأحرار أنت جميلة ... فهل لك ممن يبتغي الفصل في اللثم
أ جرديس: إني قد رأيتك جنة ... بحورا وولدان وخير وأنعم
أحاطت بك الغابات من كل وجهة ... إحاطة دملوج بأطراف معصم
شعاب ووديان يحلين جيدها ... ويبدو على أطرافها كالتبسم
مررت بها في الصبح يوما رأيتها ... تغازل قرص الشمس ضاحكة الفم
وأزهارها تحت الندى زاد حسنها ... روائحها تغنيك عن ابنة الكرم
أتيتك إجمالا بأوصاف جرديس ... وإن كنت منها يا أخي على علم [9]

نجح الشاعر في إحياء الطبيعة الصامتة من خلال رسم صورة فنية حسية تبرز العلاقة الوثيقة بين قرية جرديس العبيد والطبيعة الخلابة المحيطة بها، من بحار ووديان وغابات خضراء واسعة تحيط بها من كل جانب، وكأنها جزء لا يتجزأ منها، كما في قوله: (إحاطة دملوج بأطراف معصم)، هنا يبرز الشاعر الانسجام، والجمال في استخدام التشبيه التمثيلي، حيث تشبه الغابات التي تحيط بالقرية بالسوار الذي يلتف حول معصم المرأة، ويتابع وصف محاسن القرية من خلال تضاريسها، مشبهاً إياها بامرأة جميلة لها عنق يشبه الشعاب والوديان التي تكتسي بحلي تزين هذا العنق، مما يضفي رونقًا خاصًا على المشهد الطبيعي، كما يضيف الشاعر جمالية للطبيعة بوصفه للأزهار التي تلامسها حبات الندى، لترسم بذلك لوحة فنية بديعة تعكس سحر الطبيعة الخلابة لقرية جرديس العبيد .

ففي قصيدة (زيارتي لسبها) يترجم الشاعر حبه لسبها بأبيات شعرية تبين الارتباط الوثيق بالمكان والزمان والبيئة الطبيعة الذي فتن بجمالها فراح يتغزل بها يقول:

مرأى جمالك اغراني واغرك — من أجل ذلك قد أصبحت أهواك
إذا تبسمت ليلا قال قائلنا — در يطير عنبرا من ثناياك
إن جن ليلك فالأنوار ساطعة — كأنها انجم تسري بأفلاك
حتى ثريانا لما أن طلعت لها — عادت وغابت حياء من ثرياك[10]

تجلى تعلق الشاعر العميق بالطبيعة وسحرها من خلال وصفه لليل كأنه امرأة تبتسم، حاملة في داخلها جواهر تتناغم مع عبير العنبر لتفوح في الأجواء، ورغم شدة الظلمة في الليل، تُضيء الأنوار الصناعية في المدينة كنجوم متلألئة تسبح في السماء، مما يخلق مشهداً ساحراً ينبض بالحياة، ويتجاوز الشاعر حدود الوصف ليغزل بالمدينة كما يغزل بالمرأة الجميلة، حتى أن بريقها يخفت أمام تألقها، إذ تبدو الثريا باهتة أمام إشراقة هذه المدينة، التي لا يضاهي نورها وجمالها أي شيء آخر، ثم يصفها باللؤلؤة النفيسة التي تتوسط الصحراء بجمالها، يقول

يا درة وسط الصحراء غالية — ياما أحيلاك في عيني وأبهاك [11]

ب- الليل: رسم الشاعر من الليل صور فنية جميلة ممزوجة بعواطفه وأحاسيسه ، وكان لليل والنهار قسط وافر، ولا سيما عند شاعري برقة (إبراهيم الهوني، وحسن

السوسي) إذ دخلا في مساجلة حامية: فهذا يفضل النهار، وذاك يفضل الليل، قال الهوني: [12].

فعد يا ليل!! ويحك للأنام فما أحلاك في حلل الظلام!!
وما أبهى جمالك في هدوء يسود السكون من بعد الخصام!!
كستك طبيعة الأشياء لونا يدل على السكينة والسلام
رأيناك الأمين بلا جدال فدم ياليل عاما تلو عام
ويحلوا فيك يا ليل اجتماع تسود ربوعه لغة الغرام [13]

يدعو الشاعر الليل للعودة، معبّرًا عن إعجابه الشديد بجماله وهو مرتدٍ أفخر الثياب المصنوعة من الظلام؛ فالظلام هنا لا يُنظر إليه كشيء مخيف، بل كرمز للهدوء والسكينة والطمأنينة التي تميز الليل، لذا يطلب الشاعر من الليل أن يدوم لفترة أطول، وفي سكون الليل، تتجمع الأرواح الأحبة للسمر والجلوس، حيث يملك الليل سلطة خاصة على الطبيعة، فهو كالرداء الذي يتسلل برقة فوق جسد الأرض ليغطيها ويخفي معالمها، وفي هذا الظلام، تتحول الأشياء إلى صيغة من التخفّي، بينما تتجلى المشاعر، والأحاسيس، وتتردد أصداؤها فيه، ليجد الإنسان فيه متنفسًا خاصًا في جو من السكون، حيث تنعكس عوالم الخارج في أعماق النفس [14].

ثم يعود ويذكر الليل مرة أخرى ويصفه بأنه هادئ وناعم، كما أن حسن الطبيعة يتجلى بظهور البدر، وأما النهار فيلبس ثوبا من أشعة الشمس تفتن بنورها الناظرين ، يقول:

الليل رطب وأما الشمس دافئة والماء ينساب عذبا في زواياك
إن الطبيعة أهدتك محاسنها في الليل بدر لدى الأنظار حلاك
وقد كستك نهارا من روائعها ثوبا من الشمس أغراني برؤياك [15]

تمتاز الطبيعة الصامتة بجماليات عديدة ومتنوعة، تشمل الليل والبدر والشمس، والدفء والنهار، والنور والماء العذب، وكل ما تحتويه من خيرات تجعل حياتنا مليئة بالنعمة والجمال، تحيط بنا محاسن الطبيعة التي تأسر القلوب، ويحتوي الكون على عجائب تدهش العقول، إلا أن القليل فقط منا من يستطع أن يستمتع، ويقدر كل هذه النعم بشكل كامل [16].

لقد استغل العديد من الشعراء المناظر الطبيعية الواسعة لتوظيفها في التعبير عن

مشاعرهم العاطفية والشخصية، حيث تثير الطبيعة في نفوسهم إحساسًا بالرهبة والدهشة. لذلك، يقدمون أوصافًا حية وغنية للمناظر الطبيعية بهدف إثارة استجابات عاطفية عميقة وقوية لدى قرائهم.

المطلب الثالث ـ الطبيعة الحية:

تبرز مظاهر الطبيعة الحية من خلال اهتمام الشعراء بالحيوانات، إذ كانت محورًا مهمًا في العديد من القصائد على مرّ العصور، فقد زخر الشعر العربي بالعديد من الصور والمعاني التي تبرز مكانة الطبيعة الحية، وتعكس تنوعها وغناها بمختلف أشكال الكائنات وأنواعها، مما يدل على وعي الشعراء بأهميتها وجمالها ، ومن أبرز صور الطبيعة الحية :

أ- الغزال: غالبًا ما يُقرن الغزال في الشعر العربي بوصف المرأة الجميلة، حيث يُستَخدم كرمز للرقة والجمال والفتنة، فتُشبَّه ملامح المرأة بصفات الغزال في دقته ونعومته وسحر عيونه[17] فمن الشواهد التي وردت في أشعارابراهيم الهوني،يقول:

يا ضبية القاع قد أبعدت مرماك سبحان من بهذا الحسن وشاك [18]

يشبّه الشاعر محبوبته بالغزالة، رمز الجمال والرشاقة، التي يصعب الاقتراب منها أو نيلها، مما يزيدها سحرًا وهيبة. ويُعلي من جمالها بربطه بإبداع الخالق الذي يفوق كل وصف، ليمنح هذا الجمال بعدًا روحانيًا يعكس سموه وتفرّده ،ويقول:

إني لا هجر هجرا لا حدود له لو لم أكن لجلال الحسن أخشاك
والشبل إن نظر الغزلان هيجه شوق وإن كان محجورا بشباك
فلا تلمه إذ رفت جوانحه وهم بالوثب شوقا عند رؤياك [19]

يعزم الشاعر في الأبيات السابقة ببعده وهجره الذي لا حدود له، ولكنه يرجع على عزمه ويقف عاجزا أمام جمالها، فالشبل الذي يوصف بالقوة إن نظر إليك حركة حنينة وأن كان محاط بشبابيك، فان مشاعر الحنين والشوق هي التي جعلته يقفز فرحا برؤياك. ويقول في موضع آخر:

جلست لكي اشكو لبعض أصحابي أقول لهم أن الزمان كبابي
فما راعني إلا مرور حاذر فأجحمت عن قولي وضاع خطابي
غزالان مرا من ورائي فهالني مرورهما حتى فقدت صوابي [20]

تجاوز الشاعر عما كان يحزنه، ويقلق تفكيره إلى ما يلهي رشده، بمرور فتاتان يشبهان الغزال في جمالهما، فهو لم يقف عند هذا التصوير بل إبراز ما بها من جمال، ويقول:

وشمسان في افق الجمال تطلعت اليهن أنظاري وسال لعابي
وقد غربت شمس النهار تسترا خوفا من الشمسين خلف حجابي[21]

من شدة جمال عيونها عند النظر اليهن زادانجذابي، فإن شمس النهار تسترت فزعا من العينين خلف حجابي. فينهي خطابه بأن ترفق به وبحاله لأنها لا تعلم ما حل به من الم المرض، يقول:

ولو تعلمي يا ضبية القاع حالتي وما بي من سقم رثيت لما بي [22]

ب – الطـــــير: يُعدّ الطير من الكائنات الحية التي ورد ذكرها في الشعر العربي، إلا أنه لم ينل من اهتمام الشعراء ما نالته بعض الحيوانات الأخرى؛ فقد أشار إليه الشعراء بشكل عابر دون تفصيل أو تخصيص، نادرًا ما تطرقوا إلى ذكر أنواعه أو إبراز صفاته بشكل مفصل ففي هذه الأبيات الشعرية رسم الشاعر صورة اجزأها الطير وصوته المميز والاغصان وجدول الماء والأوراق والريح والورد والفل:

شذو الطيور على الأغصان ترسله ريح الشمائل أنغاما وألحانا
تبدي لنا نغما في الحين يطربنا إن هزت الريح أورقا وأغصانا
ومائها العذب إن مرت جداوله اهدت نسيما عليلا قبل ما كانا
ورد وفل ونسرين بساحتها جميعا والهواء الطلق أغرانا
حتى تمنيت يوما أن يكون لها بها على أكثر التقدير بستانا [23]

يصف الشاعر تغريد الطيور بأنه لحن موسيقي عذب ينتشر مع نسيم الريح الشمالية، ليصل إلى مسامعنا، ويمنحنا متعة حسية رقيقة، ويكتمل هذا التناغم الطبيعي بحركة الرياح التي تلامس أوراق الأشجار وأغصانها، فتولد أصواتًا خفيفة تشبه النغمات الموسيقية، تبث البهجة في النفوس، ويتخلل هذا المشهد جدول ماء يشق طريقه بين الأشجار، ناشرًا نسيمًا عليلًا، فيما تتنوع الأزهار من ورد وفل ونسرين، وتفوح بعطرها الزكي وسط هواء منعش، وسط هذا الجمال الأخاذ، يتمنى الشاعر لو

كان له بستان يضم كل هذه العناصر، ليكون ملاذًا للراحة، ومصدرًا للأنس، والمتعة لمن يرتاده ففي هذه الأبيات تنسجم الطبيعة مع فرحة العرس، يقول:

هنئت بالعرس إمساء وإصباحا واجعل لياليك طوال الدهر أفراحا
لك الحياة تجلت في محاسنها والسعد واليمن في بردك قد لاحا
تحت الخمائل في زهو وفي طرب والطير يرقص فوق الغصن صداحا
رفت جناحاه زهوا فوق صدرهما وكاد يفصح عما كن افصاحا
والاقحوان يروق العين منظره وقد حوت نرجسا في الأنف فواح (24)

يبارك الشاعر للعروسين ويدعو لهما بأن يجعل لياليهما كلها أفراح، ومشاعر السعادة والبهجة تجلت وانسجمت مع الطبيعة التي جعلتها ترقص طربا ابتهاجا بالعرس، فالطير يرقص فوق الغصن بفرح وسرور، فهو دليل على أن فرحة قد عمت المكان لتصل إلى الكائنات الحية.

ب- الأســـــــــد: من الحيوانات التي ذكرت في شعر العرب، والتي تحمل معنى القوة والسيادة وقد تناولها الشاعر (إبراهيم الهوني) لما هذه الصفة من الخصال التي يتمتع بها والتي أوردها الشاعر في شعره هو الأمير في قصيدة قيلت له عندما التقى به في الابيار، ويعدد الخصال الحميدة التي يتصف بها، ومنها صفة الكرم حيث يشبهه بالسحاب، يقول:

سمح إذا جئت تستجديه عارفة نوال كفيه في التشبيه بالسحب (25)

استعمل الشاعر عدة معانٍ ليبرز عظمة كرمه وسماحته، التي تجسد العطاء والخير الوفير. إلى جانب ذلك، شبّه سخاءه بالسحاب، رمز الكرم الذي لا ينضب، ثم أضفى على الصورة بعدًا آخر يعبر عن القوة والعزة، حيث يصف القائد الذي يتقدم الوفد ويرفع مكانته وسمعته، قائلاً:

يا أيها الوافد الميمون مقدمه إنا نرى فيك ليث الحرب والغلب
ومنقذ الشعب من ويلاته ونرى غيثا كسا وجه هذي الأرض بالعشب (26)

جمع الشاعر بين صفة القوة والنصر في الحروب، وانهاء معاناة الناس، فهو مخلص الشعب من الهلاك، بعد فترة المعاناة، وصفة الكرم والعطاء الذي يرمز إلى الرخاء والازدهار. كما يؤكد صفة القوة التي لا تحتاج إلى مساعدة، يقول:

يا أيها الأسد الغاني بهيبته عن كثرة الجند والحراس واليلب (27)

فالقائد الشجاع لا يحتاج إلى من يحرسه أو لدرع واقي يحميه، بل بفضل حكمته وهيبته، ترفع مكانته، فصفة الأسد التي زادها إلى الأمير تؤكد ذلك. ويمدحه في موضع آخر، يقول:

إذا جئته في المعضلات وجدته يرى هينا ما عده غيره صعبا
بما نال من مجد وعز وسؤدد فأحبابه جذلي وأعدائه غضبي
أيا أيها الليث الذي أنا مادح صنيعك يا هذا على المدح قد أربى(28)

يرفع الشاعر من مكانته ويعلي قدره، مشيرًا إلى أن من يلجأ إليه طالبًا المساعدة، حتى في أصعب الظروف، يجد الدعم والوقوف بجانبه، فلا تعترضه الصعاب مهما كانت شديدة، رغم أن هذا قد لا يرضي البعض، ويشبّهه بالليث، رمز القوة والشجاعة، مؤكدًا أن المدح لا يفي حق إحسانه.

وأما في وصفه للممرضة أثناء تلقيه العلاج في ألمانيا، فيوظف الشاعر صورة الأسد القوي الذي يتراجع، وينهزم أمام جمال المرأة ورقتها، قائلاً:

كأنك حين تلتفتين نحوي مهاة في مراتعها طريدة (29)

فهو يتغنى بجماله المأخوذ من جمال المها، ولكن في نظراتها إليه تحمل القلق على رغم من وجودها في المكان الطبيعي، يقول:

فأما ما اعتراني من سقام فإن الله سوف يقص عوده
ولكن والمهم وقد رأينا غزال الغاب مفترسا اسوده
وهل سمع الخلائق إن ليث يخاف من الغزالة أن تصيده(30)

هنا يجمع بين أمل الشفاء من الله والم المرض، ولكن مع رؤية من حرك شعوره وأفاض عليه بوصف ليتأثر حتى صار الأسد الذي هو مصدر للقوة يضعف ويصبح هو الفريسة امام الغزال، ثم يسأل الشاعر هل هي من المفارقات التي ممكن ان تحدث، فهو سؤال لا يتطلب إجابة انما لتعبير عن امر لا يمكن أن يحدث إلا في قاموس المعجبين.

ج- الحوت: يخاطب الشاعر الحوت ويخبره عما في قلبه؛ ليخفف عنه ما يحمله صدره من أحزان، نذكر منها:

يا حوتة البحر كيف الحال عندكمو إني أراك بلا إلف تعومينا
وهل عناصركم في مثل عنصرنا؟ وهل لكم اقويا منهم تخافونا؟
وهل بينكم مثلنا كبر وغطرسة وحب ذات وارهاق الضعيفين؟ (31)

يخاطب الشاعر الحوت ويسأله عن الحال عندكم هل يشبه الحال عندنا، هل تعانون المعاناة نفسها التي عندنا، وهل الحوت يشبه طبعه طبائع البشر، منهم الخير، ومنهم الشرير، ومنهم القوي والضعيف، فهو ليس مجرد سؤال بل هو تصوير لواقع الحياة الذي يعيشه، ويعاتب الحوت؛ فيقول:

يا سائلا حوتة في البحر عائمة أثرت ويحك ما قد كان مدفونا (32)

أخرجت ما كان مدفون في صدره من مشاعر أسى على يرى في تبدل أحوال الناس وطباعهم.

الخاتمـــــــــة:

لقد أثّرت الطبيعة في مسيرة الشعر العربي، إذ شكّلت مصدر إلهام كبير حرّك مشاعر الإنسان وأحاسيسه، فانبثق منها شعر نابض بالجمال ومفعم بالصور الإبداعية والفنية المستمدة من تنوع المشهد الطبيعي. وقد بدأت العلاقة بين الشعر والطبيعة منذ العصور الأولى، حيث وقف الشعراء على الأطلال، ووصفوا الصحراء ومظاهر الحياة فيها، بما يتماشى مع روح تلك المرحلة. وسار من جاء بعدهم على النهج ذاته، قبل أن يظهر التجديد الشعري الذي واكب تغيرات الأزمنة، لتظل الطبيعة حاضرة كغرض شعري، وإن لم تُدرس في الغالب بوصفها موضوعًا منفصلًا كما هو الحال مع أغراض كالرثاء والمدح والغزل.

ومن بين الشعراء الذين تجلت في أعمالهم معالم الطبيعة الليبية الساحرة، الشاعر إبراهيم الهوني، الذي جسّد في قصائده صورًا متعددة للطبيعة بمختلف عناصرها، فتغنّى بمفاتنها، وجعل منها وسيلة للتعبير عن أعمق المشاعر والعواطف، فانعكست في شعره مشاعر الحب والشوق، والألم والحزن، والفرح والانتماء، وجعل من الطبيعة مستقرًا لتلك الأحاسيس، لتصبح ألفاظها من أبرز أدواته التعبيرية، وقد أظهر من خلالها حبه العميق لوطنه وارتباطه به، من خلال ذكره لعدد من المدن الليبية وما تزخر به من جمال طبيعي، كما أن الليل احتل مكانة خاصة في شعر إبراهيم الهوني، إذ كان ملاذًا له، يتأمل فيه ويسكن إليه.

الهوامـــــــــــــش:

1- ديوان إبراهيم الهوني، تح قريرة زرقون، ج 2، دار الكتب الوطنية، طرابلس ليبيا، ط1، 2008، ص6، 11، 208.
2-شعر الطبيعة في الادب العربي بقلم سيد نوفل مطبعة نصر تاريخ النشر 1945ص 14
3- تاج العروس، للعلامة محمد مرتضى الزبيدي، ج 21، تحمجموعة من المختصين، طبعة الكويت، ط2، ص438.
4 ـ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج1، مكتبة الشرق الدولية، ط 4، 2008، ص550
5-المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية، جميل صليبا، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت -لبنان، 1982، ص 14.
6- ديوان إبراهيم الهوني، ج2،ص153.
7-المصدر نفسه، ص76.
8-المصدر نفسه، ص113.
9-المصدر نفسه،ص135.
10-المصدر نفسه، ص113.
11- المصدر نفسه، ص11.
12-الشعر والشعراءفي ليبيا، د. محمد الصادق عفيفي، دار الطباعة الحديثة، ص80.
13- ديوان إبراهيم الهوني، ج2، ص 133.
14-الحركة الشعرية في ليبيا في العصر الحديث، قريرة زرقون،ج1، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ص 114.
15-ديوان إبراهيم الهوني، ج2، ص 113و114.
16- محاسن الطبيعة وعجائب الكون تأليف اللورد افبري، مطبعة المعارف 1913، ص2.
17- توظيف الحيوان في شعر محمود درويش ديوان (سرير الغريبة) انموذجا تحليليا، حنان إبراهيم، رغدة علي الزبون، مجلة دار العلوم الإنسانية والاجتماعية، مج 44، ع 1، س 2017، ص 48.
18- ديوان إبراهيم الهوني، ج2، ص 113.
19-المصدر نفسه، ص113.

20- المصدر نفسه، ص 83.
21- المصدر نفسه، ص83
22-المصدر نفسه، ص164.
23-المصدر نفسه، ص59.
24- ديوان إبراهيم الهوني، ج1، ص 31.
25-المصدر نفسه، ص 32.
26-المصدر نفسه، ص 33.
27- ديوان إبراهيم الهوني، ج2، ص32.
28- ديوان إبراهيم الهوني، ج1، ص 28.
29-المصدر نفسه، ص 28.
30-المصدر نفسه، ص 48.
31-المصدر نفسه، ص 48.
32-المصدر نفسه، ص 48.